قراءة

رجلٌ من غير وجه يُدعى السيّد «لا احد»، وطفلةٌ بلا ذاكرة، وطبيب تجميل: هؤلاء هم أبطال «مَسْكَرا»، آخر روايات الكاتب الارجنتيني ـ التشيلي، التي صدرت ترجمتها العربية حديثاً. شخصياتٌ اصطناعية لكنّ مسارها شديد الواقعية

سومر شحادة

رواية «مَسْكَرا» للروائي والكاتب المسرحي الأرجنتيني ـ التشيلي أريئيل دورفمان (1942)، الصادرة عن «دار نينوى» بترجمة عهد صبيحة، تستطلع كيمياء بشر خاصين. فالروائي صنع شخصيّات تشبه العيّنات المخبريّة، ومن ثمّ وضعها في تجربة تعكس، بصورة صادمة ـ الزيف الذي يستهلك البشر في الواقع.

في الرواية رجلٌ من غير وجه، يدعوه طبيبة السيّد «لا أحد» لأنه غير مرئي، فلا أحد يراه كي يكون موجوداً بالنسبة إلى الآخرين؛ وطفلة من غير ذاكرة، وقد توفّي نموّها قبل الخامسة من عمرها، من جرّاء صدمة نفسيّة خلّفها اعتداءٌ غامض عليها. الـ«لا أحد» والطفلة شخصيّتان مصطنعتان، لا نراهما في حياتنا سوى في اللغة والمجازات: كأن يُقال أحدهم بأنّه «متقلّب الوجوه» أو «بلا وجه»، أو عبر التعبير لآخر بأنّ ذاكرته «سمَكيّة» أو «مؤقّتة». لكنّ، واقعياً، هي شخصيات غير موجودة خارج الإحالات التي تصنعها اللغة. حتى في الرواية، فهي ترافق الآخرين ويتمّ استغلالها لصالح الآخرين. إنّها شخصيات لا تستطيع أن تعيش من تلقاء ذاتها.

لذلك نجد الرجل الذي لا يملك وجهاً يحتاج إلى وجوهٍ كي يظهر من خلالها، ليستثمر سنوات حياته على الرغم من أنّ أحداً لم يكترث لوجوده. وتحتاج الطفلة أوريانا إلى مَن يحميها بصورة دائمة، فهي تعيش بعقل طفلة، وجسد امرأة بالغة. إذاً، تتحرّك الرواية بخيوط واقعية، ولو بدت شخصياتها غير واقعية، إلّا أنّ المنطق الذي يسود في الرواية هو ذاته المنطق الذي يسود في الحياة.

إلى جانب هاتين الشخصيّتين اللتين تحتاجان إلى مَن تظهران عبره أو تحتميان به، تحضر شخصية بارعة يمثّلها طبيب التجميل ميرافيللي، الذي يرسم الروائي من خلاله، حياةً يرتدي فيها الناس وجوهاً هي محضُ أقنعة، ولديهم حاجة دائمة إلى النسيان، كي يُتاح لهم تغيير أفكارهم، ما إن يُغيّروا وجوههم. كما يتحقّق مع طبيب التجميل الجوّ السياسي الاجتماعي الفاسد الذي يحاكيه الكاتب في مدينة ربما تقع في تشيلي أو في الأرجنتين، إذ لا يوجد ما يشير إلى المدينة الفاسدة التي تصلح أن تكون مُدناً كثيرة في زمانٍ مشترك يُزيّف القيم والوجوه.

يصنع كلٌّ من الـ«لا أحد» وطبيبه شبكاتهما الخاصّة، وكلاهما يريد أن يستخدم الآخر، أو يقتّص منه. يصنع طبيب التجميل شبكتَه من خلال العمليات التي يجريها للأغنياء والمتنفّذين، وقد بدأت شبكته الفاسدة هذه من نقل وجه سياسي عند وفاته إلى ابنه الشاب؛ بهذا تُتوارث السلطة، وتتجنّب المدينة التي تدور فيها الأحداث الفوضى والفراغ السياسي.

أمّا بالنسبة إلى الرجل عديم الوجه، فقد صنع شبكتَه عبر ابتزاز الآخرين بمجموعة من الصور الفاضحة التي التقطها لهم في الخفاء، فهو غير مرئيّ، وسلاحُه الكاميرا التي تمثّل أداة متعته أيضاً. يستخدم قواه الخفيّة كي يحصل على وظيفة عامل أرشيف في إدارة المرور، إلى جانب كون الرجل الذي بلا وجه يمتلك ذاكرة قوية في ما يتعلّق بالوجوه. بذلك أصبح قادراً على معرفتها من خلال التعابير وحركة عضلاتها، حتى بعد تغيير تلك الوجوه عن طريق الدكتور ميرافيللي.

في الجانب الآخر، فإنّ ميرافيللي يريدُ الوصول إلى السيد «لا أحد» كي يُصلح غلطته في بداية مشواره المهنيّ، حيث التقى بالرجل الذي لا يملك وجهاً منذ كان رضيعاً، ومن ثمّ تركه يمضي إلى حياته المرسومة له. تركه يضيع بين الناس. وعندما التقيا بعدما صنع كلٌّ منهما نجاحاً ومهنة وشبكة فاسدة، لم يكن ميرافيللي مستعدّاً لإضاعته مرّة ثانية، فهو يريد أن يستخدم خلايا من وجهه لتطوير أبحاثه، ويريد أيضاً أن يأخذ وجه الذي لا يملك وجهاً كي يجول العالم دون أن يعرفه أحد. لكن، للمفارقة، فإنّ السيد «لا أحد» يموت في غرفة العمليات.

تقف وراء هذه الحبكة البوليسية ـ التي يصنعها رجال شرطة وجواسيس صنع أمجادهم، بعدما جارَ عليهم الطبيب من خلال السلطة، ومن خلال الأجهزة التي يتركها وراء وجوههم الجديدة.

إذاً، ليست أهمّية الرواية ـ التي قدّم لها الروائي الأسترالي الجنوب أفريقي، حائز «نوبل»، جون ماكسويل كوتزي (1940) ـ في ما تُظهره من عالم مصطنع ومُحكَم فحسب، إنّما في الدوافع التي تحرّك الرجل الذي لا يملك وجهاً، ويبحث، من غير أن يعي، عن طريقة كي يعترف الآخرون به. وعندما يلتقي بالطفلة أوريانا يكتشف أنّ الطريقة التي تُشعره بوجوده هي أن يُحبّ. لكنّ تهدّد أوريانا الطفلة أوريانا أخرى تسكنها، وترفض البقاء طفلة. يبحث الـ«لا أحد» عن صورة لوجه الطفلة أوريانا عندما كانت في عمر الرابعة، ويطلب من ميرافيللي أن يعيده إليها، كي يتخلّص من أوريانا الناضجة ويطردها خارج جسد الطفلة. لكنّ السيد «لا أحد»، الذي أخضعه الحبّ إلى تسويات مع غريمه، يفقد حياته أثناء العملية بعدما أبرم صفقةً تقتضي انتزاع وجهه مقابل تركيب وجه الطفلة لأوريانا، التي تهرب مجدّداً وتبحث عمّن يحميها. ليس هذا العالم الذي صنعه دورفمان في مختبر خاص هو عالم شديد الواقعية؟

الرجل الذي لا يمتلك وجهاً والطفلة التي لا تمتلك ذاكرة، هاتان الشخصيّتان اللتان خرجتا من مختبر دورفمان، عادتا إليه أو تبخّرتا. فالواقع لم يحتملهما، وإنّما استخدمهما فقط بصورة إيحاء لغوي. إذ لا يبدو أنّ النظام الزائف الذي يشكّل حياة البشر يقبل بوجوه حقيقية، والمجتمع الزائف يُقصي مَن يواجه زيفه بوضوح ونزاهة. أمّا بالنسبة إلى الرجل الذي عاش من غير اسم ولا وجه، فقد مات وعلى وجهه ابتسامة. كما لو أنّ الموت قد تعرّف على وجهه، بخلاف الحياة التي تجاهلته.

«الفتاة التي أحببتها، وحميتها، كانت تحوّلني بالتدريج إلى رجل مرئي. شعرتُ، فجأة، كما لو أنّ علامة أو ندبة قد بدأت تنمو على نحو واضح في ما أسميه وجهي؛ شيئاً ما من شأنه أن يُعرّفني».

(كاتب من سورية)

> سرد للفساد في مدينة قد تكون في الأرجنتين أو في مكان آخر
>
> المجتمع الزائف يُقصي مَن يواجه زيفه بوضوح ونزاهة

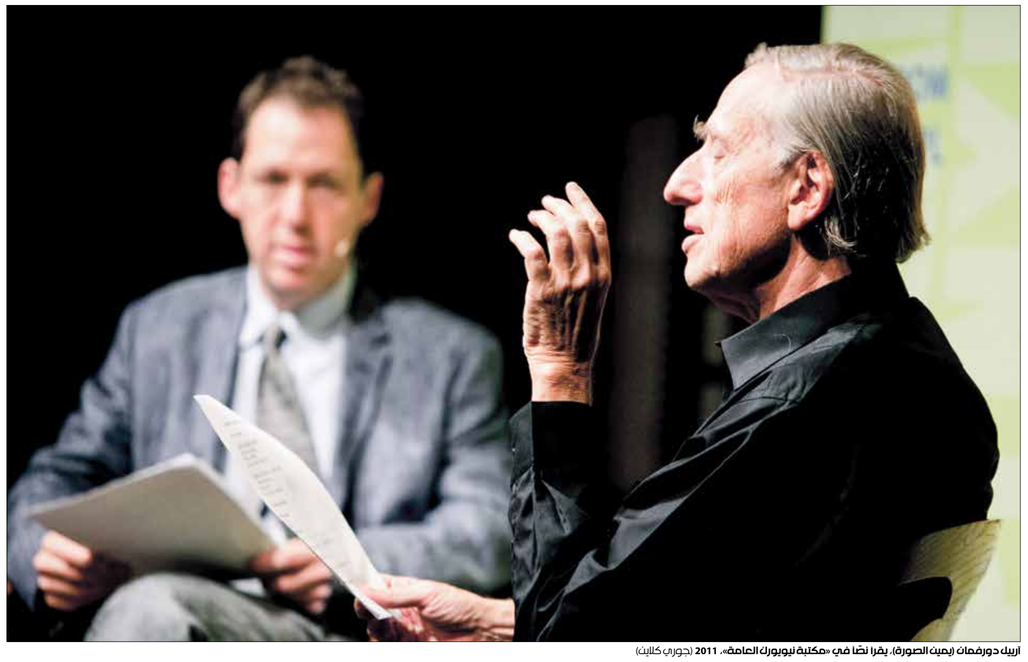

أريئيل دورفمان (يمين الصورة)، يقرأ نصّاً في «مكتبة نيويورك العامة»، 2011 (جوري كلاين)

بطاقة

Ariel Dorfman روائي وكاتب مسرحيّ ارجنتيني ـ تشيلي، من مواليد بوينس آيرس (1942). يعمل استاذاً للأدب في «جامعة ديوك» بالولايات المتّحدة. عرف عددٌ من اعماله نجاحاً جماهيرياً، مثل مسرحية «الموت والعذراء» (1990) التي حوّلها رومان بولانسكي فيلماً بالعنوان نفسه (1994). صدرت روايته «مَسْكَرا» (الغلاف) بالاسبانية عام 1988، ونشر من ذلك الوقت العديد من الاعمال في السرد والمقالة والمسرح، آخرها «لَبلَح داروين» (2021).

إطلالة

ضفّتان غنية وفقيرة وثالثة معدمة تماماً

أطلسُ عدم المساواة

شخص من جص وطارئ الرغبة وقديم الاسى كالحجر التراثي. انا الذي خضعت لتعديلات منذ ظهور الابراج في شوارع المدن الكبرى

باسم النبريص

هناك أماكن يبدو أن الوقت قد توقّف فيها: «الشرق الأوسط» كلّه، وبعض بيوت الفلمان.

وهكذا لن يتمكّن شخصٌ مثلي من دخولها أبداً. وهذا لا بأس به، وربّما أحسن، لي ولساكنيها. ذلك أنه لا يمكن أن ادخل أحدها، فأصل إلى نهاية شهر آمن.

أ والله: لو قمت بتشريح مفارقات عدم المساواة، وراهنت على الاشتراكية التشاركية، لبكيت، ولم أتناول في وجبة الإفطار: كأس قهوة مرة، مع قليل من الخبز والزعتر وزيت الزيتون. ولفضّلت التدخين على الريق.

ولو قمت بتشريح الأيديولوجيات التي تبرّر عدم المساواة، بما يقرب من نصف ألف عام وبما يغطّي خمس قارات.

لو أشرت إلى الملكية الخاصّة: المفتاح الذي يفتح صندوق باندورا، ويشرح كلّ شيء، لوجدت العالم ديستوبيا، لا يصلح للسكن. إنّما من حُسن حظّي، بسبب من شجون الشيخوخة، أنني لم أقم بهذا منذ أسبوع.

وقمتُ، بدلاً منه، بتكريس نفسي للحلم بيوتوبيا وهميّة، مثلما يكرّس الشاعر، كواحد من أقلّ الاقتصاديين نفوذاً في جيله، حياته لمحبّة الناس.

حتّى أنني، تمنّيت مثله، على الله الرزّاق، ذات ليلة مقمرة، تحت عريشة نخل في برشلونة، هناك على جبال كولسيرولا، بتقديم ضريبة تسمح للجميع بالحصول على 120 ألف يورو في سن الخامسة والعشرين.

ولّما أزل، مثله أيضاً، أنتظر الردّ الإلهي. مع أن أمامي أطلس العالم، الآن، وأتابع حال كل بلد على حدة، وأصرخ: يا للهول.

آنذا وأمامي أطلس عدم المساواة:

أطلس الإجحاف ونهاية حلم الإنصاف.

أطلس الضفاف: ضفّتان غنية وفقيرة، وضفة ثالثة معدمة تماماً.

ملعون أبو الرساميل يا عم خليل.

الفقراء والمدقعون فقراً لا يذهبون إلى هناك. ولا يرغبون ولو بوصة من بوصات الكوكب الأزرق.

■■■

مرّة، في حي إندبندنسيا في مونتيري، رأيت ملائكة الغفران، على باب في غلّقتُ على الواجهة الرئيسية للمُصلى الآلفي، مسيحاً بلا صفات.

على الرغم من أن آخر نبّاتي كانت بيضاء كالحليب، وخضراء كالبرسيم، وصفراء كالشمس.

وشاركت في احتجاج عمّال ثقافيين في عدّة مدن، على نقص المساعدات، وكنت آمنت، مثلهم، بدوران الأرض، وعدم حاجتنا لكهنة الأديان، حتى في القرى.

> وكنت لمّا أزل أبحث عن لقمة وعن رصيف يصلح للنوم

خرجت وأنا أعرف: لن أكون قادراً على صنع شخصية تستطيع التحمّل مئة في المئة. ولن أعمل مجدّداً في مهنة لمدّة أعوام، محاولاً فيها «إرضاء الآخرين»، كهدف أوّل.

أنا الشخص من جصّ، وطارئ الرغبة، وقديم الأسى كالحجر التراثيّ. أنا الذي خضعت لتعديلات منذ ظهور الأبراج في شوارع المدن الكبرى، ومنذ منزل للمجهولات.

ولم تستطع تعويذتي إنقاذ القلعة.

وساءلت نفسي، بعدما ساءني حالي: متى يكون افتتاح العودة إلى حياة الطبيعة؟

متى يكسبن لقمة عيشهنّ بفرح؟

ثم خرجت إلى النور، بحثاً عن لقمة، تحت شمس المكسيك.

فالأرض هي شريان حياتنا لا السماء. وإنه، لصُنع عوالم مختلفة، علينا أن نتخيّل مختلفاً. ولكم أشرت بيدي في غليان مستمر للأفكار، عن أن جمال الأنثى كجمال النور: يشبهان التوهج الذي يتألّق إلى ما لا نهاية.

ولطالما كنت أكثر هدوءاً، ولي وجه أقلّ امتلاءً، وأتحدّث أقلّ، وأبتسم بعيني، فأقبل أي دور ثانوي، في الثورة، دون عناء.

وها هو حصاد الرحلة: في حي إندبندنسيا في مونتيري، رأيت ملائكة الغفران، على باب في منزل للمجهولات.

وكنت لمّا أزل أبحث عن لقمة وعن رصيف يصلح للنوم.

(شاعر فلسطيني مقيم في بلجيكا)

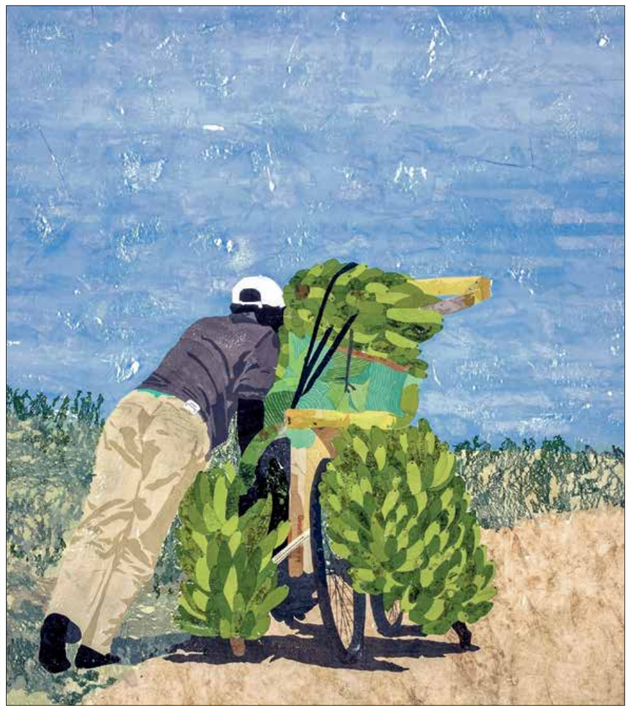

«تالي وترحه» لـ هوغو مالكلود (الولايات المتحدة)، بلاستيك على لوح خشبيّ، 2020

صوت جديد

لا كتابة راهنة من دون صِلة بالأجيال السابقة

حسن المقداد

تقف هذه الزاوية من خلال أسئلة سريعة مع صوت جديد في الكتابة العربية، في محاولة لتبيّن ملامح وانشغالات الجيل العربي الجديد من الكتّاب

بيروت ـ **العربي الجديد**

■ كيف تفهم الكتابة الجديدة؟

الكتابة التي تحرّرت من مفاهيم الأجيال السابقة وبدأت تُكوّن مفاهيمها الخاصة. وللإشارة، فهذه المفاهيم الجديدة لم تواكب بعد بحركة نقدية جدّية.

■ هل تشعر نفسك جزءاً من جيل أدبي له ملامحه وما هي هذه الملامح؟

طبعاً، جيل نصوص السوشال ميديا المكثّفة وسهلة الانتشار، في مقابل المجّانية والعشوائية أحياناً.

■ كيف هي علاقتك مع الأجيال السابقة؟

لا يمكن لحركة أدبية في جيل من الأجيال أن تكون مقطوعة عن الأجيال السابقة، ولا يمكن لها بالمقابل أن تكون نسخة كربونيّة عنها. إدراك ملامح الإنتاج الأدبي للأجيال السابقة مدخل للتأسيس والتجاوز لاحقاً.

■ كيف تصف علاقتك مع البيئة الثقافية في بلدك؟

جيّدة، في الفترة السابقة، ونتيجة الظروف والأحداث المتلاحقة حصل ما يشبهُ البرود في هذه البيئة، ولكنّها منذ فترة قريبة بدأت تعاود نشاطها بخجل، وعاد التواصل.

■ كيف صدر كتابك الأول وكم كان عمرك؟

عام 2016، أصدرتُ أوّل مجموعة شعرية «فأشارت إليه» على نفقتي الخاصة، وكنتُ في أواسط العشرينيات.

■ أين تنشر؟

أنشر مقتطفات شعرية على «فيسبوك» بشكل دوري، أمّا النصوص الشعرية الكاملة والمقالات فأنشرها في عدد من المواقع والصحف، من دون التزام.

■ كيف تقرأ وكيف تصف علاقتك مع القراءة: منهجية، مخططة، عفوية، عشوائية؟ في فترة ما كنت أمارس القراءة المنهجية في مجالات تخصُّ الشعر والنقد الأدبي والتاريخ والفن والفلسفة، وفي الوقت الحالي أقرأ كتباً خفيفة وبشكل شبه عشوائي.

> انا من جيل ينشر النصوص بسهولة مقابل المجّانية والعشوائية احيانا

■ هل تقرأ بلغة أخرى إلى جانب العربية؟

الإنكليزية وأحياناً الفرنسية.

■ كيف تنظر إلى الترجمة وهل لديك رغبة في أن تكون كاتباً مترجَماً؟

الترجمة هي الوسيلة الوحيدة لنقل جزء من ثقافة مجتمع معيّن إلى مجتمع آخر، وبما أنّ لا لغة تماثل لغة أخرى تماماً، فلا شيء يعادل قراءة النصّ بلغته الأصلية. ولكنّ الترجمة أحسن من العماء. نعم، أطمح إلى ترجمة شيء من كتاباتي يوماً.

■ ماذا تكتب الآن وما هو إصدارك القادم؟

أكتب الشعر وأكتب مقالات ذات طابع ثقافي. أحضّر لإصدار مجموعة شعريّة جاهزة تقريباً، ولكنّي متريّث.

بطاقة

شاعر لبناني من مواليد مقنة في بعلبك عام 1992. صدرت له ثلاث مجموعات شعرية: هي: «فأشارت إليه» (2016)، و«الغنّي» (2017)، و«ما لا ينتهي» (2018).

حسن المقداد

فعاليات

ابتداءً من اليوم وعلى مدار ثلاثة أيام، تُقام افتراضيا في مدينة بنسليمان المغربية فعاليات الدورة الرابعة عشرة من **المهرجان الوطني للزجل**. تشهد الدورة مشاركة اربعة وثلاثين زجّالا يُقدّم كلٌّ منهم قصيد تَين زجليتين، بمرافقة معزوفات موسيقية يؤدّيها الفنّان المغربي **عبد الحق تيكروين**.

في مسرح «مركز القطّان الثقافي» برام الله، تُعرض عند السادسة من مساء بعد غدٍ الإثنين مسرحية **المسلخ** من تأليف وإخراج **وسيم خير**، وتمثيل **مريم باشا**، و**ياسمين شلالدة**، و**ضياء مغربي**، و**محمود مرة**. تدور أحداث العمل داخل مسلخ لحوم، حيث تظهر الطبيعة البشرية الوحشية والمفترسة والمتجرّدة من الإنسانية، من خلال شخصيات انانية تسعى إلى السلطة والانتقام.

تتواصل، حتى الاثنين المقبل، في **المسرح الوطني محيي الدين بشطارزي** بالجزائر العاصمة، إقامةٌ تدريبية في الكتابة الدرامية بمشاركة احد عشر شابّاً يُنتظر ان يكتبوا خلالها نصّا مسرحيّا يُنتجه «المسرح الوطني» مستقبلا. الورشة من إشراف المسرحيَّين **إسماعيل سوفيط** و**محمد بشير بن سالم**.

بعد انقطاعه في السنتَين الماضيتَين، يعود **مهرجان المسرح والفرجة الشعبية**، الذي يُنظّمه «مركز الفنون الدرامية والركحية» في مدينة الكاف التونسية، بدورته الثالثة التي تتطلّع فعالياتُها غداً الجمعة وتستمرّ ثلاثة أيام، إلى جانب العروض المسرحية، تتضمّن التظاهُرة ندوةً فكرية وورشا تدريبية.